المرأة عند قيس لفته مراد

أ٠م مصطفى لطيف عارف
جامعة ذي قار/كلية التربية

المقدمة

شهدت مدينة الناصرية حركة أدبية واسعة،ونشاطات تظهر في مناسبات كثيرة فضلا عن زيارات جعفر الخليلي(١)إلى الناصرية من أجل شعراء،وأدباء المدينة ٠ وكان لمجلة الهاتف ،ومجلة الغري ،وبعض الصحف العراقية ،وصحف الناصرية كالمنتفك للفته مراد(٢) والطليعة لعبد الغفار العاني ،والأماني لفاضل جميل الأثر الأكثر في نمو هذه الحركة وازدهارها٠وقد واكبت هذه الحركة فترة الصراع الوطني حيث تجلت ذروتها خلال انتفاضة كانون ١٩٤٨ (٣)وما أعقبها من أحداث وحشية تصدى لها أكثر الشعراء،والأدباء للتعبير عن شعورهم الوطني الذي انتهى ببعضهم إلى السجن،وتم القضاء على بقايا هذه الحركة(٤)٠ثم بدأت حركة أدبية سرية يديرها الشاعر رشيد مجيد ،والشاعر فاضل السيد مهدي ،وانضم إليهم ناهض فليح ،وقيس لفته ،وصلاح النيازي ،وعناية حاجم وغيرهم(٥)ولعل نتاج هذه الحركة كان أكثر نضوجا من نتاج سابقتها رغم انطوائيتها على نفسها ،وتعذر نفوذها تماما إلى الجماهير لأنها ولدت في فترة إرهاب ومطاردة كل فكر وكل اتجاه ،وقد استمرت هذه الفترة إلى أواسط الخمسينات(٦)٠ مرت الحركة الأدبية في مدينة الناصرية بحالات مختلفة وقد ترعرع في ظلها عدد من الشعراء ،والأدباء،والمفكرين،والمؤرخين،ورجال العلم٠ هذه هي الحركة الأدبية في مدينة الناصرية ومراحل تطورها ،وما زالت تنجب الشعراء والأدباء الذين كرسوا حياتهم وافنوا مشاعرهم في حب مدينة الناصرية ومنهم شاعرنا قيس لفته مراد٠

١- صاحب مجلة الهاتف،قاص ،ومترجم يتقن اللغة الفارسية ،وهو من أهالي النجف٠
٢- وهو أديب كبير وهو والد الشاعر قيس لفته أصدر جريدته عام ١٩٣٩ ٠
٣- شعر عبد القادر رشيد الناصري:عبد الكريم راضي جعفر:١٢ ٠
٤- جريدة البينة الجديدة:ع ٣٤٥ ،في ٩ /٢٠٠٧/٥ ٠
٥- مجلة البلاغ :ع ١ ،س ٨ ،١٩٧٩: ٦٦ ٠
٦- مجلة التضامن الإسلامي:ع ٢ ،س ٦ ،٢٠٠٣: ١٠٨ ٠

أ- حياة الشاعر:

أسم من أسماء الأدباء،وفارس من فرسان الشعر،بنى نفسه بنفسه،وأسس له مملكة خاصة به مملكة الكلمة الصادقة،لم يكن كغيره من الملوك بترفهم وسلطانهم ،لقد كان تاجه مرصعا بالكلمات وملكه يمتد بين آلاف السطور النزيهة الصادقة التي لم تعرف الرياء أوالكذب أوالغش أوالمساومة على شرف الكلمة أنه الشاعر ،والأديب العراقي الأصيل الراحل قيس لفته مراد(١) الذي ولد في مدينة الناصرية عام ١٩٣٤ (٢) من عائلة فقيرة معدمة،وهذه الأسرة تشجع على القراءة والكتابةولما بلغ السن التي تؤهله للدخول إلى المدرسة أدخل مدرسة الرفاعي الابتدائية ،ويحالفه الحظ في تلك السنة فيكون من الناجحين لينتقل بعدها إلى الصف الثاني من دراسته الابتدائية ،وبعد نجاحه من الصف الرابع الابتدائي وبالتحديد في عام ١٩٤٤ (٣) ترك المدرسة ،وبذلك لم يحصل على الشهادة الابتدائيةومما تجدر الإشارة إليه أن شاعرنا لم يكمل دراسته بسبب الظروف الاقتصادية المحيطة به إذ اضطر إلى ترك الدراسة والاتجاه إلى ممارسة الخط،والرسم ٠ إذ رسم لوحات شخصية (بورتريت) لفلاسفة ،وشعراء عرب قدامى مثل الكندي،والفاربي،والمتنبي،وأبو العلاء المعري،والجاحظ٠ كما رسم لوحة جداريه(بالبوية) على جدار مقهى التجار الحالية وكانت عن عمر الخيام ،ورسم لوحة جداريه على جدار المقهى المجاور وكانت أيضا عن عمر الخيام،وكان يخط اللافتات في المناسبات الوطنية ،ولافتات الأطباء وأسماء الصيدليات ٠

والشئ الملفت للنظر إن الشاعر قيس لفته مراد بدأ ينظم الشعر أبياتا ومقاطيع ،وان أول قصيدة نظمها كانت

(الهناء) وقد نشرت في جريدة الثورة العربية التي مطلعها:

لم أذق في هواك شيئا فلا حسرة هـجر ولا هناء وصـــــال
لم أذق لهفة المواعيد أو طـــيب اللقاءات أو عذاب الدلال(٤)

١- جريدة كل العراق:في ٤ /٣ /٢٠٠٨ : ٥ ٠
٢- جريدة الناصرية،ع ٣ ،س ١ ،في ٢٨ /٢/ ٢٠٠٤ :٦ ٠
٣- حديث شخصي مع الأستاذ أحمد الباقري،بتأريخ ١٦ /١ /٢٠٠٨ ،إذن بنشره٠
٤- جريدة الثورة العربية،ع ٥ ،في ٦/٦ /١٩٦٦ :٣ ٠

لقد كان قيس لفته مراد وليد الحرمان ،والبيئة الفقيرة ،ولم يجعله ذلك يتذمر حيث كان يرتدي قميصا واحدا صيفا وشتاء لعدة سنين ولم يمنعه ذلك من مواصلة مشواره الأدبي ،وحبه للشعر والرسم ،والقراءة النهمة الدالة على حب التعرف ،والتعلم من تجارب الكتاب ،والأدباء الآخرين٠ (١) لقد ارتقى الشاعر في شعره إلى مراتب المتصوفين ،وكان شعره شفافا سهلا يمتاز بعمق المعنى ،وببعديه التاريخي والروحي فها هو يقول:

يوقدون النار بي يا سيدي
لن أخاف النار،لن أرهبها
لن أرد النار عني في يدي
فلظى في القلب قد جربته
لهو أقسى من لظى في جسدي(٢)

عاش شاعرنا قيس لفته مراد عيشة المتشائمين من الحياة،وكثيرا ما تمنى الموت،والانتحار فنراه يقول:

عشت عشرين إلف يوم وليل لـم أذق راحــة بها أو سلامــا
كيف قاومت عب تلك الليالي والليالـي أعـباؤهـا تتنامـــى
كل ليل يأتي أقول لنفســـــي ليت ليلي هذا يكون الختاما(٣)

فقيس لفته بدأ حياته مستخدما بسيطا في دائرة حكومية في الناصرية تقع بنيتها على الفرات وتدعى(دائرة الأشغال) يخرج من دائرته بفعل علاقاته الطيبة بمن يحيطه من الموظفين ثم يعود أو لايعود٠ ثم تزوج وأنجب واستقر ببغداد ثم تهدم كل ما يحيطه بين عشية وضحاها بسبب الخلاف بينه وبين زوجته(٤)

١- جريدة الناصرية،بتأريخ :٤ /٣ / ٢٠٠٨ : ٥ ٠
٢- ديوان من أغاني الحلاج :قيس لفته مراد:٢٢ ٠
٣- ديوان من شعر قيس لفته مراد:٨٨ ٠
٤- جريدة الناصرية:٥ ٠

قال له ديك الجن بعد إن بعثه من مرقده في حمص فنراه يقول:

أصغ لي يا بني جربت دنياك
وما في أيامها من خطوب
ذقت مر الحياة لكن أقسى
كل مر خيانة من حبيب (١)

خيانة الحبيب هي الجرح الذي لن يندمل في حياة الشاعر قيس لفته مراد ،ومن فم هذا الجرح تنهال القصائد ،وبعد الخيانة عاد الشاعر لتشرده ،وغربته،وكان الغربة والحنين زاده اليومي فنراه يقول:

حقي إذا أشكو إليك متاعبي يا مستريح
حقي إذا أشكو وفي بعض التشكي ما يريــح
هذا الأسى هذا العذاب المرمن هذي الجروح
إنا ما ولدت لكي اغني بل ولدت لكي أنوح (٢)

لم يقيمه ناقد،ولم يوزع له ديوان بالطريقة التي توزع بها دواوين سائر الشعراء،وإنما طبع ديوانه (العودة إلى مدينة الطفولة) وكذلك ملحمته الخالدة (الفانوس) على نفقته الخاصة(٣)وكوم ما طبعه في غرفته المتواضعة الواقعة في زقاق قريب من شارع أبي نؤاس حيث يعيش وحيدا ،وحزنه الذي لاينتهي وبدأ بتوزيع ديوانه

لأصدقائه،ومعارفه،ومحبي شعره ،والاصلاء من أهل مدينته ممن سكن بغداد(٤)٠
والشيء الملفت للنظر إن الشاعر قيس لفته مراد لم يقيمه ناقد على الرغم من جلال شعره ،وسمو معانيه ،ولم يرعه نظام أو مسؤول فنراه يقول:

تشكين إني شاعر إنا شاعـر كبير ولكن الحظوظ عواثـــر
ولأذنب لي إن لم ينلني ناقــد يعرف بي أو ينلني خـــــابر
لأني ابى إن أمرغ جبـــهتي بأعتابهم إن مرغ الوجه شاعر
حرام على قيثارتي إن أهينها بزيف كما هانت لغيري القياثر(٥)

١- ديوان أحلام الهزيع الأخير:قيس لفته مراد:١٠٧ ٠
٢- ديوان أغاني وجودية:قيس لفته مراد،مخطوط:٤٢ ٠
٣- حديث شخصي مع الناقد عزيز عبد الصاحب،بتأريخ ٣/٢٢ /٢٠٠٧ ،أذن بنشره٠
٤- جريدة الناصرية:٥ ٠
٥- ديوان من شعر قيس لفته مراد:قيس لفته مراد:١٨ ٠

والشيء الملفت للنظر إن شاعرنا كان دهريا ،أجواؤه بعيدة عن الأيمان ،والتعبد والصلاة،وكان يفخر بحلاجاته المادية،ودهرياته التي طورها عن أبي العلاء المعري(١)وحينما سئل الشاعر قيس لفته مراد أي شاعر اقرب إلى نفسك؟
أجاب الشاعر ابن الرومي٠ لأنه يعتقد بان ابن الرومي هو اقرب للحياة من غيره(٢)
ثقافته:

كان واسع الثقافة فقد قرأ،واستوعب أمهات الكتب ،واطلع على الثقافات الإنسانية المتوافرة في ذلك الزمن ٠ فقد قرأ الإلياذة لفرجيل،والأوديسة لهوميروس،وقرأ الكثير من القصص ،والروايات الأجنبية،والعربية،والشعر العربي القديم ،والحديث٠
كذلك قرأ رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ،والكامل في الأدب لابن المبرد،وكتاب إلف ليلة وليلة،وكليلة ودمنة(٣)٠ سافر إلى خارج مدينة الناصرية وكان للعمل في الصحافة الأدبية لأنه يعتبر بغداد عاصمة الثقافة ،ومجالا واسعا للشاعر مع العلم انه ما كان يسعى للشهرة ،ولم يعد إلى الناصرية إلا في زيارات قصيرة بين الحين والحين الآخر(٤)٠ وكان يعمل مصححا لغويا في الصحف حينذاك،كما إن عائلته استقرت في بغداد،وعمل مصححا لغويا في صحيفة (الأنباء الجديدة) التي كان يرأس تحريرها المحامي ضياء شكارة ،وكذلك عمل مصححا لغويا في صحيفة (التآخي)وعمل مصححا لغويا لنشرات الأخبار في إذاعة بغداد ،وكان قبل ذلك يعمل بترتيب وفهرسة المكتبات الشخصية لبعض الشخصيات السياسية مثل إبراهيم كبه وغيره٠ مقابل اجر بسيط على عمله ذلك،وقد عمل محررا ثقافيا في صحيفة الثورة العربية الصادرة في أواخر الستينات،ثم ترك العمل بسبب مرضه٠

١- الحسين في ذاكرة المدينة:محمد حسن راضي:١٩٨ ٠
٢- حديث شخصي مع الناقد عزيز عبد الصاحب،بتأريخ ٢٥ /٦ /٢٠٠٧،أذن بنشره ٠
٣- حديث شخصي مع الأستاذ أحمد البأقري ،بتأريخ ٢٥ /١ /٢٠٠٨ إذن بنشره٠
٤- حديث شخصي مع الأستاذ هادي الدجيلي،بتأريخ٢٨ /٢٠٠٨/١ ،أذن بنشره ٠

آثاره الأدبية

- ديوان من أغاني الحلاج:قيس لفته مراد،مطبعة الأديب ،بغداد،١٩٦٦ ٠

- أقصوصة قصيرة بعنوان(عودة إلى طفولتي) بقلم قيس لفته مراد،نشرت بمجلة الناصرية:١٩٦٩ ٠

- ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:قيس لفته مراد،المكتبة الوطنية،بغداد،١٩٨٧ ٠

- ديوان الفانوس:قيس لفته مراد،مطبعة شفيق ،بغداد،١٩٨٨ ٠

- مسرحية الضحك ممنوع في المدينة:قيس لفته مراد،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد ١٩٨٩ ٠
- ديوان من شعر قيس لفته مراد:قيس لفته مراد،مطبعة الأجيال ،بغداد،١٩٩١ ٠

- ديوان أحلام الهزيع الأخير:قيس لفته مراد،مطبعة الميناء،بغداد،١٩٩٢ ٠

- ديوان قصائد قيس لفته مراد:قيس لفته مراد،مطبعة الغري الأهلية،النجف،١٩٩٣ ٠

- مسرحية اكازو :قيس لفته مراد ،استوحى فيها التراث السومري،مطبوعة معدة للتمثيل٠
- له مخطوطتان مفقودتان هما:

١- مجموعة شعرية تحت عنوان:(أغاني وجودية)٠
٢- أينانا وهو صياغة للأسطورة اينانا السومرية٠

أستاذته:
١- صلاح النيازي: وهو أستاذ شاعرنا الأول الذي ولد عام ١٩٣٥ في مدينة الناصرية(١)حصل على ليسانس في اللغة العربية واد آبها من جامعة بغداد،وعلى الدكتوراه من جامعة لندن،يقيم في لندن منذ عام ١٩٦٣ ،ويرأس منذ عام ١٩٨٥ تحرير مجلة الاغتراب الأدبي ،وهي مجلة لندنية تعنى بأدب المغتربين،اشترك في عدد من المؤتمرات الأدبية العربية والعالمية منها مؤتمر مسرح خيال الظل بلندن٠
٢- ناهض فليح: وهو أستاذ شاعرنا الثاني الذي ولد عام ١٩٣٥ في مدينة الناصرية(٢)،خريج كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٥٦ ،عمل بالتدريس وأحيل إلى التقاعد عام ١٩٨٣ ،وهو عضو اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين ونقابة الفنانين العراقيين،له عدد من الاوبريتات والمسرحيات المدرسية منذ عام ١٩٧٣ إلى عام ١٩٩٢ ،منحته وزارة التربية العراقية عددا من الجوائز التقديرية٠

١- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين: جمع وترتيب هيئة المعاجم، ط١ ، ١٩٩٦ : المجلد الثاني،٧٠٦ ٠
٢- المصدر نفسه:المجلد الخامس،٣٨ ٠

وفاته:
وهكذا مات قيس لفته مراد وحيدا فريدا كئيبا لم ير أنسانا ولم يره إنسان ليلقي ربا رحيما غفورا ،لقد فارق دنياه ،وكان مضاعا كما كان قبل إن تتصل روحه بالعالم الآخر اثر التهاب في الكليتين تطور إلى عجز بالكليتين وأودى به المرض إلى الموت في غرفة قديمة بمحلة البتاوين ببغداد عام ١٩٩٦ ٠ وقد التقت به إحدى النساء الجميلات قبيل وفاته ،وقالت له اانت شاعر فأجابها بقوله:

تقولين يحكي الناس انك شاعـــر وشكلك لا يوحي بأنك شـــــاعر
ولابد من أمرين إن يخطي الورى بما زعموا أو إن تخون المظاهر
ترين ثيابي أو رثاثة مظهـــري وما المرء إلا حسه والمشاعــر
اجل لم أكن يوما وسيما وليس لي أناقة شكـل ترتضيهـا النـواظــر
ملامح صاغتها الكآبة والأســـــى وجسم تداعى فهو تعبان خائر(١)

١- ديوان من شعر قيس لفته مراد:١٧ ٠

آراء النقاد في الشاعر قيس لفته مراد:
١- يرى الفنان التشكيلي كاظم صاحب:((إن الراحل قيسا كانت تبدو عليه واضحة علامات الفقر المادي إلا انه كان غزير الفكر بعيد الرأي جميل المنطق بسيطا في طبعه متواضعا،لقد كان مدرسة لنا وهو الذي شجعنا على الرسم والكتابة والقراءة٠ كان كاتبا مسرحيا من طراز خاص واشتركنا معه في مسرحية(أكازو)حيث كان هو بطلها أيضا،وكنا نتبادل الأفكار والأحاديث ،وبصراحة فان قيس لفته مراد كان أشبه بالكاهن الذي يتعبد في محراب الكلمات ،وكان غريبا بعض الشيء))(١)
٢- يرى الشاعر سبتي إلهيتي((إن قيس شاعر مبدع ،أعطى للشعر أكثر مما أعطاه الشعر،وينطبق عليه البيت الشعري الذي قالته الشاعرة الكبيرة لميعة عباس عمارة
لعنة الرحمن يا شعر عليك ما الذي أوقعني بين يديك))(٢)

٣- يرى الناقد المسرحي عزيز عبد الصاحب: ((فقيس لفته مراد هو الشاعر الحي الشاعر الذي لن يموت،هذا شاعر طلق كل شيء واختار الشعر))(٣)
٤- يرى الكاتب حميد أمين : ((الفنان قيس لفته مراد رسام جيد ،وكانت لواحاته التي رسمها لمشاهير الشعراء القدماء كالبحتري،وأبو تمام الطائي،وأبو نؤاس والتي كانت تزين جدار قاعة المطالعة للرجال في بناية المكتبة العامة))(٤)
٥- وأخير نقول هذا هو الشاعر قيس لفته مراد الإنسان الذي لم يمار على مبادئه،ولم يساوم فطالته يد الأبعاد عن ميادين الأدب ،ودفعته بعيدا عن العيش بكرامة ،لأنه رفض ذلهم٠

١-جريدة كل العراق الثقافية :٤ ٠
٢-المصدر نفسه:٤ ٠
٣-جريدة الناصرية:٢ ٠
٤- الناصرية المقهى والذاكرة:حميد أمين:٣ ٠

ب- شعر المرأة:

لعلي أبالغ أذا قلت إن الحياة الشعرية ،لمعظم الشعراء،تبدأ ،بدايتها من كيان أنثى ،سواء أكان هذا الكيان متخيلا أم حقيقة ،فمنه تنبعث الشرارة الأولى لتصبح لهيبا ،أو نورا،يحمله أينما حل وارتحل،راسما رد فعله العاطفي بكلمات لها فعلها نسميه القصيدة(١)ولعل شاعرنا في بداية حياته العاطفية ،كان قد أحب حبا أفلاطونيا فتمثل حبيبته،من خلاله،مخلوقا له مزايا تندر إن امتلكتها امرأة في هذه الأرض(٢)وربما كان مرد ذلك يرجع إلى تأثير البيئة التي نشأ فيها الشاعر ،أنها بيئة محافظة تقوم على أساس التعارف والمودة بين الآخرين(٣)فنراه يقول:

تقول صفني ولكن دونما غـــزل مشاعري كلها في وصفها غزل
أحلى القصائد تبغي عند شاعرها أحلى القصائد لكن يمنع الخجل
ماذا أقول وما شعري وما غزلي كل القصائد في عينيك تختـــزل
قصيدتي أنت مولاتي وقافـــــيتي وإنني بك ذاك الشاعر الجـــزل(٤)

وإذا كانت العلاقات قائمة على ذلك النحو،فان علاقات الحب وفقا لها ،وفي الأغلب الأعم تكون سامية ترتفع عن الغريزة ،أو بمعنى أدق تنحي الصفة الجسدية جانبا لتحل محلها مناجاة الروح فنراه يقول:

قد تعانين في الهوى ما أعاني وتذوقين منه ما في لســـــاني
أنا قيس وأنت ليلى ولكـــــن عشقنا غير عشق ذاك الزمـان
وعلى غير ما تلاقات قلـــــوب يلتقي اليوم في الهوى عاشقان
لا الأحاسيس نفسها إذ يحـــس العاشقون انتماءهم لا الأمـــاني
كل حـــب مشـــوه نحن أدرى بالذي في أعماقنا من هـــوان(٥)

١- رماد الشعر: د٠ عبد الكريم راضي جعفر:٩ ٠
٢- شعر عبد القادر رشيد الناصري:١٨ ٠
٣- ديوان الناصري عبد القادر رشيد:١٧ ٠
٤- ديوان من شعر قيس لفته مراد:٩٤ ٠
٥- المصدر نفسه:١٤ ٠

وسواء أكان هذا الحب قد تخيله الشاعر جريا وراء آثار شاعر حالم قرأه،أم قد وقع فعلا،فإننا وجدناه يناجي امرأة تدعى ((سوزان)) فنراه يقول:

سوزان ياحلم العذارى يفديك عيسى والنصارى(١)

شعر شاعرنا بالعقبة التي تقف في طريق حبه،أنها العادات،والتقاليد القاسية التي لأتسمح له بحبها أو الارتباط بها فنراه يقول:

عشنا معا نكد الزمان فما لواك ولا لوانـــي
بالأمس كنت أليفتـــي بل كنت جزءا من كيانـــي
ياما تقاسمنا الهمـــوم كما تقاسمنا الأمانـــي
فرغيف خبزي قطعتان وكأس مائي جرعتـــان
بل خلت انك ســـوف تقتسمين لحدي إن طواني(٢)

وكانت قضية الدين الإسلامي تقف هي الأخرى في طريق حب الشاعر،لان حبيبته مسيحية ،ولا يحق له الارتباط بها،مما اضطرت الهجرة إلى مدينة بغداد،وبقى الشاعر حزينا يتمنى لو أنها تأتي إليه في الأحلام،فنراه يقول:

حلم إن يدق بابي ليـــــــلا ثم ألقاك عند عتبـــة داري
يتلقاك كل ما في ضلوعـــي من حنيني ولهفتي وانتظاري
تتلاشى كآبتي تنتهي الوحشة يغدو المساء فجر نهـــار(٣)

وبعد مضي عشرين عاما،يتذكر الشاعر حبيبته سوزان التي لن ينساها أبدا،ويبقى يتذكرها في كل حين ،فنراه يقول:

يا شوق عشرين عاما كيف تنساني وما نسيتك في سري وإعلاني
علقتني في دروب الناس لافتـــة ما مـر بي عابـــر ألا تملاني
إني كتابك لكن أين عـــــنواني لمـــا اقلـــب من آن إلى آن
غدا يقولون ما كانت حكايتـــــه حكايتي كلها أشواق حرمانـــي (٤)

١- ديوان قصائد قيس لفته مراد:٢٥ ٠
٢- أحلام الهزيع الأخير:قيس لفته مراد:٣١ ٠
٣- ديوان من شعر قيس لفته مراد:٤٢ ٠
٤- المصدر نفسه:١٠ ٠

ثم يتمنى الشاعر أمنية ،لو تحققت له لكان اسعد إنسان في الحياة ،فنراه يقول:

لأنك آخر النسمات تـــهدي إلى دنياي أشـــداء النعيم
فكوني النبع أو كوني سرابا وكوني جنة لي أو جحيمي
أخادع فيك بالأحلام نفســـي فتسخر بي مسافات النجوم(١)

وأجمل الحب ما كان خالصا،لايشوبه غرض،ولا تعوده حاجة(٢)،ثم سافر الشاعر قيس لفته مراد إلى مدينة بغداد،للبحث عن حبيبته سوزان لعله يلتقي بها،ولكنه لم يفلح،لأنها على ما يبدو قد تزوجت بغيره،واختفت من حياته،وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إن سوزان ما كانت تحب الشاعر،وكان الحب من طرف واحد٠ ويكاد يجمع أغلب أصدقائه،ومعارفه الذين التقى الباحث بهم على إن سفرته إلى بغداد(٣)لم يكن غرضها الصحافة،والشهرة كما ادعى البعض ،وإنما لالتقاء بحبيبته سوزان التي فارقته ،ومع ذلك فأنني أرجح إن سفرته تلك كانت للعمل ،والشهرة في بغداد٠ فنراه يقول:

يا فارس الريح إن الريح مسرجة فأهمز جوادك عبر الليل في الطرق
عسى تمر على شباك خاليـــــة من اللواعج والحرمـــــان والأرق
فتملأ العين منها وهي غافيـــــة لم تدر اهو الضحى أم أول الغسق(٤)

وفي هذه الغربة والاغتراب من المدينة الجديدة بغداد،وضياع الحبيبة سوزان،فانه يتمنى الموت،غير إن هذا التمني الذي يسعى إليه الشاعر لم يكن ضعفا يسوقه الخوف من غمار الحياة،بل كان فيضا من الحيوية التي تدفع بأصحابها إلى الانطلاق في عالم مثالي لا يلبثون معه إن يكرهوا ما حولهم من عالم الناس ويضيقون به،فيرون إن الحياة كما يفهمها غيرهم لا تساوي شيئا فينزعون إلى طلب الراحة من جهاد مؤس،وهذا ما يفرق بين تمني

الموت على لسان العاجزين،وبين التطلع إلى الخلود(٥)،فنراه يقول:

حاولت أرسم كان وجهك واضحا وكأنه قربي بكل سمـــاته
خططت ثم فشـــلت أن الطيف لا يصطاده الفنان في لوحاته

١- ديوان من شعر قيس لفته مراد:٢٥ ٠
٢- ينظر الشعر العربي في المهجر:محمد عبد الغني حسن:٧٥ ٠
٣- ينظر ديوان الناصري:٢٤ ٠
٤- ديوان أحلام الهزيع الأخير:١٧ ٠
٥- الرومانتيكية:د٠ محمد غنيمي هلال:٥٩ ٠

هذي العيون بكل مكنوناتها عزت على قلمي وتخطيطا ته
هي وحدها دنيا فأية خطوة يختارها الملاح في رحلاتـــه(١)

وبالرغم مما كان عليه قيس لفته مراد من حال مزرية،فأنه حاول الزواج ليستريح في ما يبدو من التفكير بصدمته البغدادية،وبشكل خاص،ما آلت إليه علاقته بـ(سوزان)أو قل ليتناسى حبها(٢)ومن ثم ليتدبر شؤونه ٠ وقد تم ذلك بالفعل حيث تم عقده،غير أن هذا العقد في ما يبدو لم يكن يريحه لأنه يؤمن بأنه بحاجة إلى ينبوع دافق يبرد غلته،وفاكهة شهية يشبع بها نهمه،وواحة سجواء يستريح إليها(٣)فنراه يقول:

أيقظت غافي الشوق من غفواتـه وأعدت ماضي العمر بعد فواتـه
يا أروع امرأة رآها شاعـــــر فرأى الجمال بها بكل صفاتـــه
قد كاد يؤمن أن ربا صاغـــها هي وحدها تكفيه عن آياتـــــه
فتحت يداه كوى الجنان فأفلـــتت حورية من بعض حورياتـــــه
فلذاك أسمتها جنانا أمهـــــــا ذكرى لنعمى الله في جناتـــــه(٤)

وبعد فترة من الزمن أصيب الشاعر قيس لفته مراد بصدمة كبيرة الأ وهي خيانة الزوجة،أن الشاعر يخاف أن يواجه حقيقة مرة لا يمكن مواجهتها خصوصا من قبل شاعر حساس،وأصبح يعيش بعيدا عن مواجهة الحقائق(٥)وخصوصا الخيانة الزوجية،فنراه يقول:

يا ترى كيف ورد قال بخيـــــر وستشفى من جرحها عن قريب
نحن نحيا معا ولست أخاف الـ يوم من حاسد ولا من قريـــب
قلت: لكن ظلمتها قال: كـــــل ظلمت نفسها بوهم خلـــــوب
أصغ لي يا بني جربت دنيـــاك وما في أيامها من خطـــــوب
أذقت مر الحياة لكن أقســـى كل مر خيانة من حبيـــــب(٦)

١- ديوان أحلام الهزيع الأخير:٤٦ ٠
٢- ينظر شعر عبدا لقادر رشيد الناصري:٣٦ ٠
٣- ينظر جريدة الهاتف،ع ٤٠٣ ،في ١/ ٢ /١٩٤٦ :٣ ٠
٤- ديوان أحلام الهزيع الأخير:٤٤ ٠
٥- ينظر نازك الملائكة الموجة القلقة:ماجد أحمد السامرائي:٢٩ ٠
٦- ديوان أحلام الهزيع الأخير:١٠٧ ٠

لم يجد الشاعر مخرجا من هذه الحالة المتأزمة التي عاشها قد يكون الرحيل هو الخلاص الوحيد من المكان الذي عاش فيه خيبة أمله العاطفية(١)ولو أن هذا لن يغير شيئا حتما فالكارثة على ما يبدو كبيرة،وضخمة ولدت جرحا عميقا في ذات الشاعر ،وظل نزيفه يحدث البشر الذين لايحسون ما في صدر الشاعر من حرقة،وألم، عاد الشاعر إلى مدينة الناصرية فنراه يقول:

أعـود إلـــــيك من آن لآن لأنعم في ظلاك بالأمـــــــان
أعود إليك ســـارية أضاعت هناك شراعها عبر الموانـــي
تفتش في صخورك عن ملاذ وعن دفء وعن بعض الحنان
أعـــود إليك غربة ألف درب على رحلي وغربة إلف خـــان
غريـــب عنك عانى من بعاد فلما عاد عانى من تدانـــــي(٢)

ويظل الشاعر يبكي عواطفه،ولم يغير سفره عن الناصرية،وابتعاده عنها،عن مربع حبه شيئا من حاله،فالبكاء هو الرد على خيبته ،ففي غربته هناك يحدثه عن ذكريات الألم التي خلفها في الناصرية،فنراه يقول:

أرى وجوها حبيبـــات ملامحها في طي ذاكرتي لون من الوشم
ياما احن لها اشـــتاق رؤيتـــها وألان أبصرها لكن مع الألـــم
ضريبة إن يكون الحزن فرصتنا لنلتقي والأسى غنما لمغتنـــم (٣)

إزاء ذلك الحدث،فإننا لأنشك في أن قيس لفته مراد ،قد أضاف خيبة أمله الجديدة إلى رصيد خيباته العديدة،وصدماته الموجعة ،ومهما تكن أسباب تلك الخيبة،فأن حبا جديدا في ما يبدو(٤)قد نما بساعة ،كما يؤمن،فراح يتغنى به ،فأنشده ألحانا جديدة،فنراه يقول:

رأيت أبا نؤاس في منامـــي يحييني ويهمس في حنـــان
يقول سمعت شعرك في جنان فعشت به الحنين إلى جناني
تراها أهي صاحبتي قديـــما تعود إلى زمانك من زمانـــي
مضى دهر طويل ما التقيـــنا فنحن اليوم كل في مكـــــان(٥)

١- ينظر نازك الملائكة الموجة القلقة:٢٩ ٠
٢- ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:قيس لفته مراد:٢٤ ٠
٣- المصدر نفسه:٩٠ ٠
٤- ينظر ديوان الناصري:٣٦ ٠
٥- ديوان من شعر قيس لفته مراد:٣٠ ٠

ولا يختلف اثنان في أن الشاعر كتب هذه الأشعار وهو يئن من شدة المأساة التي ألمت به على غير توقع،ولكننا نعتقد بان هذا لن يغير كثيرا في صورة المحبوبة،ومكانتها في قلبه،وشعره(١)فنراه يقول:

غصون من جنان الله أدنـــى وأجنى من غصون الجنتيـن
وعين من عيون الخلد أشهى وأحلى موردا من كل عيـــن
وحلم من طيوف اللـيل يغري ولكن ليس يلمس باليديـــن
رأيت اليأس أروح لي وأجدى وكان اليأس إحدى الراحتين(٢)

والحقيقة أن الشاعر قيس لفته مراد كان مفرطا على تناول الخمر،بحيث لايصحو،والأزمة المالية التي كان يعانيها حتى أنه لم يكن بمقدوره تسديد مبلغ أيجار الغرفة التي أستجارها في شارع أبي نؤاس، ومن هنا فقد تعثرت العلاقة الزوجية،مما حدا بزوجه إن تطلب الافتراق فكان لها ذلك(٣)فنراه يقول:

أردت إن أشعل في عـــيدك الشمع ولكن كنت خالي اليدين
فرحت للعطار في دربـــــنا اسأله من شمعه شمـــــعتين
قـال لـي العطار مســـتنكرا الشمع عندي لا يقاضى بـديـن
اضمامة الشمع إذا ما غلت لا يتعدى سعرها درهمـــــين(٤)

وأخيرا نقول لقد حب قيس لفته مراد سبعا،ولم تحبه واحدة منهن(٥)مفضلات عليه المال،والليالي الساهرة،بل أنه يشك في صدق حب زوجه له،وربما عده من قبيل الإشفاق الذي ربما خالطه بعض النفاق ،كما يقول فهي غيورة من علاقات نسائية عاشها الشاعر قبل لقائه بها (سوزان ، جنان ، غصون ، ورد ، عادلة ،مجهولة ، ليلى ، وغيرها . ولم يبق له منهن سوى سوزان ، مع كثرة من النساء اللواتي أحبهن قيس لفته مراد ، التي يصفها بأنها صوت الآلفة ، والحب .

١- ينظر المرأة في شعر نزار قباني:د٠ صلاح الدين الهوراني:٥٢ ٠
٢- ديوان من شعر قيس لفته مراد:٧ ٠
٣- ينظر ديوان الناصري:٣٨ ٠
٤- ديوان من شعر قيس لفته مراد:٧٦ ٠
٥- ينظر شجر الغابة الحجري:طراد الكبيسي:٣٦٢ ٠

المصادر والمراجع

أولا الكتب:

- الرومانتيكية:د٠ محمد غنيمي هلال،بيروت ،دار العودة،ودار الثقافة،١٩٧٣ ٠
- المرأة في شعر نزار قباني:د٠ صلاح الدين الهواري،بيروت ،لبنان، ٢٠٠١ ٠
- ديوان أحلام الهزيع الأخير:قيس لفته مراد،مطبعة الميناء،بغداد،١٩٩٢ ٠
- ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:قيس لفته مراد،المكتبة الوطنية،بغداد،١٩٨٧ ٠
- ديوان أغاني وجودية:قيس لفته مراد،مخطوط٠
- ديوان قصائد قيس لفته مراد:قيس لفته مراد،مطبعة الغري الأهلية،النجف ، ١٩٩٣ ٠
- ديوان من أغاني الحلاج:قيس لفته مراد،مطبعة الأديب ،بغداد،١٩٦٦ ٠
- ديوان من شعر قيس لفته مراد:قيس لفته مراد،مطبعة الأجيال،بغداد،١٩٩١ ٠

- ديوان الناصري عبد القادر رشيد:د٠ عبد الكريم راضي جعفر،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،١٩٩٢ ٠
- الحسين في ذاكرة الناصرية:محمد حسن راضي،مطبعة دار الضياء،النجف الأشرف،٢٠٠٧ ٠
- رماد الشعر دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق:د٠ عبد الكريم راضي جعفر،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،١٩٩٨ ٠
- شجر الغابة الحجري كتابات في الشعر الجديد:طراد الكبيسي،دار الحرية للطباعة،١٩٧٥ ٠
- شعر عبد القادر رشيد الناصري،دراسة تحليلية فنية:عبد الكريم راضي جعفر،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد.١٩٨٩ ٠
- الشعر العربي في المهجر:محمد عبد الغني حسن، القاهرة،١٩٥٥ ٠
- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين:جمع وترتيب هيئة المعاجم،١٩٩٦ ٠
- نازك الملائكة الموجة القلقة:ماجد أحمد السامرائي،دار الحرية للطباعة،بغداد،١٩٧٥ ٠

ثانيا الصحف:

- جريدة البينة الجديدة،ع ٣٤٥ ،في ٩ /٥ /٢٠٠٧ ٠
- جريدة الثورة العربية،ع ٥ ،في ٦ /٦ /١٩٦٦ ٠
- جريدة كل العراق الثقافية،ع ١ ،في ٤ /٣ /٢٠٠٨ ٠
- جريدة الناصرية،ع ٣ ،س١ ،في ٢٨ /٢ /٢٠٠٤ ٠
-جريدة الناصرية،ع ١ ،في ٤ /٣ /٢٠٠٨ ٠
- جريدة الهاتف ،ع ٤٠٣ ،في ١ /٢ /١٩٤٦ ٠

ثالثا المجلات:

- مجلة البلاغ ،ع ١ ،س٨ ،١٩٧٩ ٠
- مجلة التضامن الإسلامي،ع ٢ ،س٦ ،٢٠٠٣ ٠

رابعا الأحاديث الشخصية:

- حديث شخصي مع الأستاذ أحمد ألباقري،بتأريخ ٢٥ /١ /٢٠٠٨ ،الناصرية٠
- حديث شخصي مع الأستاذ عزيز عبد الصاحب،بتأريخ،٢٥ /٦ /٢٠٠٧ ،الناصرية
- حديث شخصي مع الأستاذ هادي الدجيلي،بتأريخ،٢٨ /١ /٢٠٠٨ ،الناصرية ٠